جامعة العربي بن مهيدي -أم البواقي-
كلية الحقوق والعلوم السياسية
قسم العلوم السياسية

الإجابة النموذجية لاختبار السداسي الأول في مادة مدخل للعلاقات الدولية

السؤال: لقد أفضت تعددية المنطلقات إلى عدم القدرة على حسم الجدل حول مفهوم العلاقات الدولية كحقل للتفاعل. حلل وناقش على ضوء ما درست

مقدمة:

يُشكل مفهوم العلاقات الدولية International Relations\Relations Internationales، أحد المصطلحات الأساسية، المستخدمة في حقل العلوم السياسية المعاصرة. فهذا المصطلح لم يكن متداولاً قبل 1919، لغياب الاهتمام بهذا المجال، والذي كان مقتصراً على المناقشات الضيقة جداً، على مستوى النخب الحاكمة. إضافةً على عدم استقرار الإجماع، حول استقلالية علم السياسة، باعتباره الإطار الأوسع لدراسة الظواهر السياسية، بما في ذلك تلك المندرجة في إطار العلاقات الدولية. وانطلاقاً من ذلك، فإن انتشار استعمال المصطلح، في النقاشات العامة على المستويين الفكري والسياسي، صاحبه حالة من الغموض، وبدرجة أكبر عدم الاتفاق، على المضامين التي يحتويها المصطلح. وتجدر الإشارة، إلى أن هذا النقاش مازال مستمراً، ضمن النقاشات الفكرية، أو الدراسات الأكاديمية، دون التوصل إلى حالة الإجماع، التي استقرت في العلوم الاجتماعية الأخرى. ويُمكن تبسيط هذا الجدل، من خلال الإجابة على سؤال مفاده:

ماهي الظواهر التي يُمكن اعتبارها جزءً من العلاقات الدولية، والتي تسمح بالتوصل إلى تعريف مقبول نسبياً؟ (03 ن).

العرض

شهد حقل العلاقات الدولية، والعلوم السياسية بشكل عام، جدلاً بين اتجاهات فكرية ونظرية مختلفة، حاول كلٌ منها تكريس تصوره حول العلاقات الدولية، كتعريف مرجعي، عند محاولة رصد الظواهر الدولية، المعنية بالدراسة ضمن هذا الحقل. وقد تركز الجدل أساساً بين:

- **العلاقات الدولية من منظور مركزية الدولية State-Centrism:**

تميل الاتجاهات النظرية، القائمة على مركزية الدولة في التفاعلات الدولية، إلى استعمال مصطلح السياسات الدولية International politics\Politique internationales، كبديل أدق للعلاقات الدولية International relations. باعتبار أن مختلف التفاعلات التي تتم ضمن هذا الإطار، ماهي إلا نتاج صدام السياسات الخارجية للدول ذات السيادة، دون الاهتمام بفواعل آخرين غير دولاتيين Non-State Acrors. ومن هذا المنظور يعتبر هانز مورغنثو Hans J. Morgenthau، أن "السياسات الدولية International politics مثل كل السياسات هي صراع من أجل القوة A struggle for power، فمهما كانت الأهداف القصوى Ultimate aims للسياسة الدولية، تبقى القوة بمثابة الهدف الفوري Immediate aim". كما يعتبر ريمون آرون R. Aron في سياق مشابه، أن "العلاقات الدولية International relations، هي علاقات قائمة بين وحدات سياسية Political Units، ويشمل المصطلح الأخير دول المدينة اليونانية، الإمبراطوريات الرومانية أو المصرية، إلى جانب الممالك الأوروبية، الجمهوريات البرجوازية والديمقراطيات الشعبية". ويبدو من خلال هذا التصور، أن المعنى المتضمن في مصطلح الوحدات السياسية، المستعمل من طرف آرون، لا يختلف عن الأشكال التي أخذتها الدولة، عبر مختلف مراحل تطور التنظيمات السياسية. سواءً تعلق الأمر بنموذج دولة المدينة، أو الإمبراطوريات التي ميزت العالم القديم، الممالك والإمارات الأوروبية التي ميزت العصور الوسطى، أو الجمهوريات بمختلف أشكالها، والتي ميزت العصر الحديث. وبذلك، فإن تفاعلات العلاقات الدولية بهذا المعنى، تتمحور حول سلوكات الدولة، وهو ما يجعله مُندرجاً ضمن الاتجاه النظري، القائم على مركزية الدولة في العلاقات الدولية State-centrism (07 ن).

- **العلاقات الدولية من منظور تعددي:**

تظهر من جهة مقابلة، تصورات أخرى للعلاقات الدولية، تتميز بطابعها التعددي، وترفض انطلاقاً من ذلك، اقتصار الاهتمام على التفاعلات الدولية، التي تصدر عن الدول ذات السيادة. وفي مقابل ذلك، يُقدم هذا الاتجاه، تصورات مغايرة حول العلاقات الدولية، تتضمن أوجه متعددة للتفاعلات، تصدر عن لاعبين متعددين، من أجل تحقيق غايات وأهداف متباينة ومتنوعة. ونتيجةً لذلك فقد تميزت التصورات المختلفة حول العلاقات الدولية، المندرجة ضمن هذا الاتجاه، باتساع نطاق المفهوم، ليشمل متغيرات وزوايا متعددة.

يعتبر مارسيل ميرل M. Merle في هذا السياق، أن "كل التدفقات Flux، التي تعبر الحدود، أو حتى تتطلع نحو عبورها، هي تدفقات يُمكن وصفها بالعلاقات الدولية...وتشمل هذه التدفقات بالطبع على العلاقات بين حكومات هذه الدول، ولكن أيضاً على العلاقات بين الأفراد والمجموعات العامة والخاصة، التي تقع على جانبي الحدود". ونلاحظ من خلال هذا التصور، عدم تحديد مضمون واضح لمفهوم التدفقات، وبالتالي يُمكن اعتبارها كل الأحداث، السلوكات، التصورات والقناعات...إلخ، التي يكونها الفاعل. كما أن عدم تحديد الجهة التي تصدر عنها هذه التدفقات (الفاعل)، يفتح مجال التأثير في التفاعلات الدولية، إلى عدد متعدد من اللاعبين، يتدرجون من الشكل الأبسط أي الفرد، إلى الأشكال الأكثر تعقيداً، أي الكيانات متعددة الأطراف التي تشكلها الدول، مثل المنظمات الدولية، الأحلاف العسكرية...إلخ.

تحاول تصورات أخرى، ضمن هذا الاتجاه التعددي، أن تكون أكثر تحديداً في نظرتها للعلاقات الدولية، من خلال السعي لتحديد الفواعل. سواءً تعلق الأمر بامتدادات الدولة (المنظمات الدولية...إلخ)، أو غيرهم من الفاعلين غير الدولاتيين، مثل الشركات العابرة للحدود، أو المنظمات الدولية غير الحكومية...إلخ. ومن التعاريف المثيرة للاهتمام، تجد تصور نيكولاس سبيكمان N. Spykman، الذي يأخذ اتجاها مناقضاً، لما ذهب إليه ريمون آرون، فيما يتعلق بدور الفرد في العلاقات الدولية. ويعتبر سبيكمان العلاقات الدولية، انطلاقاً من ذلك، تفاعل سلوكات اجتماعية، صادرة عن الأفراد والجماعات، عبر الحدود الوطنية. وبهذا المعنى فهي "علاقات بين أفراد Individuals ينتمون إلى دول مختلفة...والسلوك الدولي International behavior، هو سلوك اجتماعي لأفراد وجماعات، تستهدف أو تتأثر بوجود أو سلوك أفراد أو جماعات، تنتمي لدول أخرى". أي أن كل سلوك يقوم به أفراد، أو جماعة من الأفراد، مهما كانت طبيعتها (عرقية، لغوية، مهنية...إلخ)، يُمكن أن يُحدث تأثيرات على مستوى البيئة الدولية، ويُصنف بالتالي ضمن مفهوم العلاقات الدولية (07 ن).

خاتمة:

يُشير عرض هذه النماذج من التصورات، التي وضعت ضمن محاولات إيجاد تعريف شامل، يرسم الصورة الكاملة للعلاقات الدولية، إلى نتيجة أساسية مفادها، أن هذا المفهوم كان ومازال متنازع حوله. حيث لن نتمكن من إيجاد تعريف نهائي، حتى داخل الاتجاه النظري الواحد، وبشكل خاص عند مقارنة تصورات الآباء المؤسسين للاتجاه، مع تلك التي وضعها المنظرون المتأخرون. وانطلاقاً من ذلك، يُمكن بما يتناسب مع أهداف هذه المحاضرة، تعريف العلاقات الدولية على أنها مختلف التفاعلات التي تتم بين مختلف الفاعلين على مستوى البيئة الدولية، لأهداف، غايات، مرجعيات مختلفة، وتُفضي بذلك إلى مخرجات متبادلة التأثير. علماً أن البيئة الدولية، في هذا الصدد، هي المسرح الرئيسي للتفاعل، وهو لا يمنع أن الكثير من المؤثرات على سلوك الفواعل، ومحفزات التفاعل (القضايا الدولية)، تكون صادرة عن البيئة الداخلية للدول (03 ن).